لماذا ظهر الإسلام في مكة دون غيرها؟

في الحقيقة إن إختيار مكة تحديدًا مكانًا لبزوغ فجر الإسلام كان لعلّة واقعية وليس إختيارًا عبثيًا بالمرة. ولعل من أهم الأسباب هي:

اولاً/ تضمنت مكة طبقتين من الناس الأولى نخبوية وهي طبقة أرستقراطية تجارية، وشريحة واسعة من الفقراء والمعدمين مثلت وجوديًا الطبقة الثانيّة، وأوجد هذا الأمر إختلال طبقي كبير داخل بُنية المجتمع المكي، إذ تحكّمت النخبة الأرستقراطية بحركة رأس المال، فتكدست لديها أموال طائلة مقابل أرهاق الفقراء الذين يعملون كثيرًا ويأكلون قليلاً. وما زاد في معاناة الطبقة الثانية هي إرتفاع نسبة الربا الكبيرة التي فرضها الأثرياء على المَدينين منهم والتي كثيرًا ما تصل إلى نسبة(100%) الأمر الذي عرّض الكثير منهم إلى الإسترقاق، فيضطر الرجل عادة لبيع أحد أبناءه أو بناته أو حتى زوجته؛ لفكاك رقبته من المال المترتب بذمته للنخبة المذكورة، ورتب هذا الحال أن أصبحت الطبقة الأولى متخمة، والأخرى جائعة ومثقلة بالدَين. فكان أن إستهدف الإسلام ضرب المعاملات الربوية الفاسدة؛لإنقاذ المجتمع من حالة الإختلال الطبقي.

ثانياً/ إنماز مجتمع مكة – **مع المدينة والمنورة والطائف**– بأنه مستقر نسبيًا، وليس فيه من البداوة إلاّ القليل، مقارنة مع مناطق شاسعة في شبه الجزيرة العربية، بمعنى من المعاني أن الإستقرار النسبي في مكة أمرًا تتطلبه الحاجة لنشر الإسلام، إذ من غير الممكن وبأي حال من الأحوال نشر القيم الإسلامية بين القبائل البدوية دائمة الحركة والتنقل.

ثالثاً/ كان المجتمع المكي على معرفة بفكرة التوحيد، وهي أوضح عندهم من باقي مدن شبه الجزيرة العربية، وتجلى ذلك وضوحًا في قوله "عز وجل" :**{ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار}**، أي أنهم يعلمون تمام العلم بوجود خالق لهذا الوجود ويعتقدون بأن أوثانهم تقربهم إلى الله، ولا يعباؤن للأديان بالمرة بل لمكانتهم الاجتماعية وثيقة الصلة بالإقتصاد. وعليه كانت مكة مقصدًا للحجاج العرب الوثنيين؛ لممارسة طقوس الحج الوثني، حيث يدر عليهم هذا النشاط المال الوفير، فكان من المنطقي إستهداف مكة؛ لأنها بهذا الحال عقدة إقتصادية– إجتماعية، لا بدّ من تكسيرها من أجل نشر الإسلام.

رابعاً/ إستغلال موقع مكة التجاري إذ كانت طريقاً تجارياً رئيساً لداخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، حيث التجارة مع بلاد فارس والروم والحبشة واليمن، وما تميزت به مكة من أحلاف(قبلية– تجارية) بين القبائل المكية ونظيرتها في سائر شبه الجزيرة العربية، وبالذات الطائف والمدينة المنورة والبحرين وعُمان.

خامساً/ خلو مكة من الإنشقاقات العقدية التي إبتليت بها مناطق بلاد الشام مثلا، إذ نلحظ في المنطقة المذكورة أن الناس كانوا على قناعة راسخة بأن هرقل " **ابن الأله المدعاة زيوس والسيدة البشرية الكميني**" أي أنه نصف بشري ونصف إلهي؛ لذا نرى أن ثمة تَقبّل لإتهامات اليهود حول طبيعة السيد المسيح(عليه السلام) فيما إذا كان إنسانًا بالكامل أم لا. فأنتشرت فرق كثيرة أختلفت في طبيعته، وهذا الأمر لم يحدث في مكة المستقرة نسبيًا، وباقي مدن شبه الجزيرة العربية ذات الاغلبية البدوية التي لا تعرف هذا الأمور وظلت تحافظ على مصالحها الإقتصادية على الدوام.

سادسًا/ ثمة أمر مهم على قدر كبير من الأهمية ويتجلى ذلك وضوحًا في قوة العصبية القبلية في مكة والمتمثلة بقبيلة بني هاشم، التي كانت مستعدة للدفاع عن النبي حتى الرمق الأخير، فعلى وفق القوانين الطبيعية إحتاج النبي إلى ناصر له؛ لمساعدته في نشر الإسلام فلولا وجود بني هاشم في مكة لما تمكن النبي من إظهار أمره، وفي ذلك قال العلاّمة ابن خلدون:" **إن الدعوة الدينية بلا عصبية لا تتم**". بمعنى أن الدعوة الدينية مدعومة بالقوة التي تكتنزها القبيلة لصالح نبيها هي سبب النجاح، وعلى النقيض من ذلك حيث إنعدامها يعني الفشل حتمًا.